شرح متن الآجرومية

المحاضرة الخامسة

أكاديمية الإمام الذهبي للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه هي المحاضرة الخامسة من شرح متن الآجرومية، في علم النحو، التابعة لأكاديمية الإمام الذهبي، للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثانية، للدفعة الدراسية الأولى.

أكاديمية الإمام الذهبي للعلوم الشرعية

قال المصنف رحمه الله: باب العواملِ الداخلةِ على المبتدأ والخبر

وهي ثلاثة أشياء: كان وأخواتها، وإنَّ وأخواتها، وظَنَنْتُ وأخواتها.

فأما كان وأخواتها، فإنها ترفَعُ الاسمَ، وتَنصِبُ الخَبَرَ، وهي:

كان، وأمسى، وأصبحَ، وأضحى، وظَلَّ، وباتَ، وصار، وليس، وما زال، وما انفَكَّ، وما فَتِيءَ، وما بَرِحَ، وما دام، وما تَصَرَّفَ منها نحو: كان، ويكون، وكُن، وأصبَحَ ويُصبِحُ، وأَصبِحْ.

تقول: "كان زيدٌ قائماً، وليس عمرٌو شاخِصَاً" وما أشبه ذلك.

وأما إنَّ وأخواتُها فإنها تَنصِبُ الاسمَ وتَرفَعُ الخَبَرَ، وهي: إنَّ، وأَنَّ، ولَكِنَّ، وكَأَنَّ، وليتَ، ولَعَلَّ.

تقول: إنَّ زيداً قائمٌ، وليت عَمْراً شاخصٌ، وما أشبه ذلك.

ومعنى إنَّ وأَنَّ للتوكيد، ولَكِنَّ للاستِدراك، وكَأَنَّ للتشبيه، وليت للتمَنِّي، ولَعَلَّ للتَّرَجِّي والتَّوَقُّع.

وأما ظَنَنتُ وأخواتُها فإنها تَنصِبُ المبتدأَ والخبَرَعلى أنهما مفعولان لها، وهي: ظَنَنتُ، وحَسِبتُ، وخِلتُ، وزَعمتُ، ورأيتُ، وعَلِمتُ، ووجَدتُ، و اتَّخذتُ، وجَعَلتُ، وسَمعتُ.

تقول: ظننتُ زيداً قائما، ورأيت عَمْرَاً شاخِصَاً، وما أشبه ذلك.

الشرح:

سبق معنا في اللقاء السابق أن المصنف رحمه الله ذكر في هذا الباب أربع مسائل وهي:

الأولى: العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر- الثانية: كان وأخواتها – الثالثة: إن وأخواتها – الرابعة: ظن وأخواتها.

وكنا قد انتهينا من الكلام عن المسألتين الأولى والثانية، واليوم نشرع بإذن الله بالكلام عن المسألتين الثالثة والرابعة.

المسألة الثالثة إن وأخواتها

قال المصنف رحمه الله: وأما إنَّ وأخواتُها فإنها تَنصِبُ الاسمَ وتَرفَعُ الخَبَرَ، وهي: إنَّ، وأَنَّ، ولَكِنَّ، وكَأَنَّ، وليتَ، ولَعَلَّ.

تقول: إنَّ زيداً قائمٌ، وليت عَمْراً شاخصٌ، وما أشبه ذلك.

ومعنى إنَّ وأَنَّ للتوكيد، ولَكِنَّ للاستِدراك، وكَأَنَّ للتشبيه، وليت للتمَنِّي، ولَعَلَّ للتَّرَجِّي والتَّوَقُّع.

س: كم مبحث ذكر المصنف في هذه المسألة؟

ج: ذكر ثلاثة مباحث وهما:

عمل إن وأخواتها – ذكر إن وأخواتها - ومعاني إن وأخواتها.

س: لماذا أخر ابن آجروم الكلام عن إن وأخواتها، بعد كان وأخواتها؟

ج: لأن كان وأخواتها أفعال، وإن وأخواتها حروف، والحروف أدنى مرتبة من الأفعال.

المبحث الأول: عمل إن وأخواتها.

لها ثلاثة أعمال:

١) من حيث المعنى: تغير المعنى من الإخبار المحض إلى معنى آخر، كالتأكيد أو الاستدراك أو التشبيه....الخ.

٢) من حيث التسمية: تغير اسم المبتدأ إلى اسم إن وأخواتها، والخبر إلى خبر إن وأخواتها.

٣) من حيث الإعراب: تدخل على الجملة الأصلية – المبتدأ والخبر- فتنصب المبتدأ وترفع الخبر؛ فتعمل إن وأخواتها في جزأي الجملة.

مثال: قال الله تعالى { إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ}

إنَّ: حرف ناسخ مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

اللهَ: اسم الجلالة، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

على كلِّ: جار ومجرور.

شيءٍ: مضاف إليه.

قديرٌ: خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

س: هل هناك شروط لعمل إن وأخواتها في الجملة الاسمية؟

ج: لا يوجد، بل هي تعمل بلا قيد ولا شرط.

س: أليست "لا" النافية للجنس تعمل نفس عمل إن وأخواتها، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر، فلماذا لم يذكرها ابن آجروم ضمن هذا الباب، وجعل لها بابا مختصا؟

ج: لأن "لا" النافية للجنس يشترط لأعمالها شروط، بخلاف إن وأخواتها فهي تعمل بلا قيد ولا شرط.

المبحث الثاني: ذكر إن وأخواتها.

س: كم عددها؟

ج: عددها ستة، بخلاف كان وأخواتها فعددها ثلاثة عشر.

س: بين نوع هذه النواسخ.

ج: كلها حروف، فتعرب إعراب الحروف.

س: هل لهذه الحروف أسماء أخرى؟

ج: نعم يقال لها الحروف المشبهة بالفعل؛ لأنها تشبه الفعل من ثلاثة أوجه:

١) من حيث حركة آخرها: فكلها مفتوحة كالفعل الماضي، نحو: ضرب – أكل – لعب – إنَّ - كأنَّ – لكنَّ - ليتَ – لعلَّ.

٢) من حيث المعنى: فهذه الحروف كلها تضمنت معنى الأفعال، كالتوكيد، والتشبيه، والاستدراك، والتمني، والترجي، والإشفاق والتوقع.

٣) من حيث العمل بما بعدها: فإنها تعمل بما بعدها، كعمل الفعل بما بعده، فكما أن الفعل يرفع فاعلًا وينصب مفعولًا، فكذلك (إِنَّ) وأخواتها ترفع اسما، وتنصب آخر، إلا أنها تجري مَجرى الفعل الذي تقدَّم مفعولُه وتأخَّر فاعله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾، وقوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾

المبحث الثالث: معاني إن وأخواتها

إِنَّ: بكسر الهمزة وتشديد النون، بخلاف (إِنْ) بكسر الهمزة، وتخفيف النون، فهذه تفيد الشرط، وهي تعمل الجزم في كل من فعل الشرط، وجواب الشرط.

وقد بدأ ابن آجروم رحمه الله بالحرف (إِنَّ)؛ لأنها أم الباب.

معناها: للتأكيد، والتأكيد بها يدلُّ على أن خبرها محقَّق عند المتكلِّم، وليس موضع شكٍّ.

قال الله عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾، وكقوله صلى الله عليه وسلم "إِنَّ أبغضَ الرجال عند الله الألدُّ الخصم" ولكونها تفيد التأكيد، وليست لموضع الشك، فقد أجيب بها على القسم، كقوله تعالى ﴿والعصر* إِنَّ الإنسان لفي خسر﴾

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للتأكيد مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

أَنَّ: بفتح الهمزة وتشديد النون، بخلاف (أَنْ) بفتح الهمزة وتخفيف النون، فإنها تدخل على الفعل المضارع، وتعمل فيه النصب.

معناها: للتأكيد، والتأكيد بها يدلُّ على أن خبرها محقَّق عند المتكلِّم، وليس موضع شكٍّ.

قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للتأكيد مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

فإن قيل: ما الفرق بين إنَّ وأنَّ؟

فالجواب: (إِنَّ) بكسر الهمزة تبتدأ بها الجملة، وهي مع اسمها وخبرها كلام تامٌّ، كقوله ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾ بخلاف (أَنَّ) بفتح الهمزة؛ فلا بد أن يسبقها كلام، كما أنها تعتبر مع اسمها وخبرها في حكم المفرد؛ كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

لكنَّ: وهي تفيد الاستدراك.

والاستدراك هو: اتباع وتعقيب الكلام السابق، إما:

- بنفي ما يتوهم ثبوته: نحو: زيد عالم، فيوهم ذلك أنه صالح؛ لملازمة الصلاح للعلم، فتقول: لكنه فاسق، فتدفع بـ(لكن) توهم أنه صالح، وكقولك: زيد غني، فيوهم أنه كريم، فتقول: لكنه بخيل.

- أو إثبات ما يتوهم نفيه: نحو: زيد فقير، فيوهم ذلك أنه ليس بكريم، فتقول: لكنه كريم.

فائدة: لابد أن يسبق الحرف (لكن) كلام حتى يتم الاستدراك، فلا يبتدأ بها من أول الجملة، ومنه قول الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ فنفى عنهم القتل، فربما توهم أحد أن الله عز وجل لم يقتلهم أيضا فأثبته لنفسه، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ فنفى عنهم الرمي، فربما توهم أحد أن الله عز وجل لم يرمهم أيضا، أثبته لنفسه، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فنفى الله عز وجل الظلم عن نفسه، فربما توهم أحد أن الناس كذلك لا يظلمون شيئا، فأثبت ظلمَ الناس لأنفسهم.

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للاستدراك مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

كأنَّ: وهي لتشبيه المبتدأ بالخبر، تشبيهًا مؤكدًا؛ لأنها في الأصل مركبةٌ من (إنَّ) التوكيدية وكاف التشبيه، فإذا قلت على سبيل المثال: كأنَّ العلمَ نورٌ، فالأصل: إنَّ العلمَ نورٌ، ثم إنهم لَمَّا أرادوا التشبيه الذي عليه عقَدوا الجملة، قدَّموا الكاف وفتحوا همزة (إنَّ) لمكان الكاف، التي هي حرف جر، وقد صارت الكاف مع إنَّ حرفًا واحدًا، يراد به التشبيه المؤكد، نحو قوله ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾، وقوله ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾، وقوله صلى الله عليه وسلم في وصف الملائكة التي تنزل لقبض روح العبد المسلم: ﴿كأن وجوهَهم الشمسُ﴾.

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للتشبيه مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

ليت: وهي للتمني.

والتمنِّي هو: طلب الشيء المحبوب المستحيل حدوثه، نحو قول الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يعود يومًا ♦♦♦ فأُخبِرَه بما فَعَلَ المشيبُ.

ونحو قوله ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾، وقوله ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أو طلب الشيء العسير تحققه، كقول مَن يريد الحج وليس لديه مال: ليت لي مالًا فأحجَّ منه؛ فإنَّ حُصول المال ممكن، ولكن فيه عُسر.

س: هل تأتي ليت لطلب الأمر الممكن حدوثه؟

ج: نعم، لكن هذا قليل، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله: ((ليت رجلًا من أصحابي صالحًا يحرسني الليلة))؛ إذ سمِعنا صوت سلاح، فقال: ((مَن هذا؟))، فقال: أنا سعد بن أبي وقاص، جئتُ لأحرسك، ونام النبي صلى الله عليه وسلم.

وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فيما رواه مسلم رحمه الله: "فليت حظي من أربع ركعات؛ ركعتان متقبلتان".

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للتمني مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

لعل: ذَكَر ابن آجرُّوم رحمه الله في متن الآجرومية للحرف الناسخ (لعل) معنيين؛ هما:

المعنى الأول: الترجي.

والترجي هو: طلب الأمر المحبوب، ولا يكون هذا إلا في الممكن الميسور التحقُّق، في ظن المتكلم، نحو قولك: لعل زيدًا يقدم غدًا، ومنه قولُ الله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾

والمعنى الثاني: الإشفاق والتوقُّع

والإشفاق والتوقع هو: انتظار وقوع الأمر المكروه في ذاته؛ كقولك: لعل زيدًا هالكٌ، فأنت هنا لا ترجو أن يكون زيد هالكًا، ولكن تتوقع أن يَهلِك، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فإن الساعة مخوفة في حق المؤمنين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾، ومن ذلك أيضًا: قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴾

- وقد جمع أبو حيان رحمه الله في تفسيره (البحر المحيط) بين هذين المعنيين المذكورين للحرف الناسخ (لعل) بقوله: (لعل) للترجي في المحبوب، وللإشفاق في المحذور؛ اهـ.

ويقال في هذا الحرف عند إعرابه: حرف ناسخ للترجي أو للتوقع والإشفاق مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

المسألة الرابعة ظن وأخواتها

قال المصنف رحمه الله: وأما ظَنَنتُ وأخواتُها فإنها تَنصِبُ المبتدأَ والخبَرَعلى أنهما مفعولان لها، وهي: ظَنَنتُ، وحَسِبتُ، وخِلتُ، وزَعمتُ، ورأيتُ، وعَلِمتُ، ووجَدتُ، و اتَّخذتُ، وجَعَلتُ، وسَمعتُ. تقول: ظننتُ زيداً قائما، ورأيت عَمْرَاً شاخِصَاً، وما أشبه ذلك.

الشرح:

لا يزال ابن آجروم رحمه الله يذكر العوامل والنواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر، ويذكر عملها فيهما، فقد انتهى من (كان) وأخواتها، التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، ومن (إن) وأخواتها التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر، والآن في هذا الباب سيبين أن هذه الأفعال (ظن وأخواتها) تنصب المبتدأ والخبر جميعًا، ويصير المبتدأ مفعولًا به أولا، والخبر مفعولًا به ثانيًا.

فإن قيل: لَمَّا كانت (ظنَّ) وأخواتها تنصبُ المبتدأ والخبر على أنهما مفعولانِ لها، كان حقُّها أن تذكر في باب النواصب، مثل لا النافية للجنس، فلماذا ذكرها ابن آجروم في باب المرفوعات؟

فالجواب: ذكرها هنا استطرادًا لتتميم بقية النواسخ.

س: كم مبحث ذكر ابن آجروم في هذه المسألة؟

ج: ذكر مبحثين: عمل ظن وأخواتها – ذكر ظن وأخواتها.

المبحث الأول: عمل ظن وأخواتها:

س: ما عمل ظن وأخواتها؟

ج: (ظن) وأخواتها من النواسخ التي تدخل على جملة المبتدأ والخبر، بعد استيفاء فاعلها، فتنصبهما على أنهما مفعولان لها، وعليه فإن الأفعال (ظن) وأخواتها مع ما تدخل عليه تشتمل على أمور ثلاثة؛ هي:

١ – الفاعل: فمرفوعها يسمى فاعلًا لها، لا اسمًا لها، كما قلنا في (كان) وأخواتها.

٢ – والمبتدأ: وهي تنصبه، ويسمى مفعولَها الأول.

٣ – والخبر: وهي تنصبه أيضًا، ويُسمَّى مفعولَها الثاني.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾

نظن: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن)، والكاف: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به أول للفعل نظن.

كاذبين: مفعول به ثان للفعل (نظن) منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

س: هل لهذه النواسخ من شروط لكي تعمل؟

ج: هذه النواسخ تعمل مطلقًا؛ أي: سواء كانت مضارعة أم ماضية أم أمرًا.

المبحث الثاني: ذكر ظن وأخواتها:

س: بين نوع هذه النواسخ؟

ج: هه النواسخ كلها أفعال، وليس بينها حروفٌ أبدًا، وهذا بالاتفاق، فتعرب إعراب الأفعال تماما.

س: اذكر أقسام هذه النواسخ باعتبار معناها

ج: (ظن) وأخواتها تنقسم من حيث معناها إلى:

١ - أفعال القلوب: وهذه الأفعال تنقسم إلى قسمين:

أ- أفعال الرجحان: وهي التي تفيد ترجيح وقوع الخبر (المفعول الثاني)، وقد ذكر ابن آجروم منها هنا أربعة أفعال؛ وهي: (ظن، حسِب، خال، زعم).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ فالفعل (أظن) هنا رفع فاعلًا، هو الضمير المستتر (أنا)، ونصب مفعولينِ، أصلهما المبتدأ والخبر، هما: (الساعة)، وهي المفعول الأول، و(قائمة)، وهي المفعول الثاني، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام هو: الساعة قائمة.

- قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ﴾ فالفعل (تحسب) هنا رفع فاعلًا، هو واو الجماعة، ونصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، هما: (الهاء)، وهي المفعول الأول، و(شرًّا) وهي المفعول الثاني، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام: هو شر لكم.
- قال الشاعر: إخالُك إنْ لم تغضُضِ الطرفَ ذا هوًى *** يسومُكَ ما لا يستطاعُ مِن الوجدِ

فالفعل (إخال) هنا فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنا)، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني هو قوله: (ذا)، منصوب بالألف؛ لأنه مِن الأسماء الخمسة، وهو مضافٌ، و(هوى) مضاف إليه، وكان أصل هذين المفعولينِ المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام؛ أنت ذو هوًى.

- قال الشاعر: زعمَتْني شيخًا ولستُ بشيخٍ *** إنما الشيخُ مَن يدبُّ دبيبَا

فالفعل (زعم) هنا قد رفع فاعلًا، هو الضمير المستتر (هي)، ونصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، أولهما: ياء المتكلم من (زعمتني)، والثاني كلمة (شيخًا)، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام: أنا شيخ.

ب- أفعال اليقين: وهي التي تفيد اليقين وتحقيق وقوع الخبر (المفعول الثاني)، وقد ذكر ابن آجروم منها ثلاثة أفعال؛ هي: (رأَى، علِم، وجَد)

- (رأى)، وهو أيضًا بمعنى (علم)، وليس المراد هنا (رأى) التي بمعنى (أبصر بعينيه)، فالمراد هنا رؤية القلب التي تفيد العلم، لا رؤية العين الباصرة التي تفيد المشاهدة، فالذي ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر هو الفعل (رأى)، الذي بمعنى (علم)، وتسمى (رأى) العلمية.

ومثال عملها الرفع في الفاعل، والنصب في المفعولين، قوله تعالى: ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾، فإن المعنى: ونعلَمُه قريبًا، وليس المعنى أننا نُبصِره بأعيننا قريبًا، فإن هذا ليس مرادًا بلا شك، ولذلك فقد تعدَّى الفعل (نرى) هنا إلى مفعولين، هما الهاء، وهي المفعول الأول، و(قريبًا)، وهي المفعول الثاني، وكان أصلهما المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام قبل دخول الفعل (نرى): هو قريب.

- قولك: علمتُ الغِيبةَ محرَّمةً، فالفعل (علم) هنا رفع فاعلًا، هو الضمير (تاء الفاعل)، ونصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر؛ هما: (الغِيبة) وهي المفعول الأول، و(محرمة) وهي المفعول الثاني، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام قبل دخول الفعل والفاعل (علمت): الغيبة محرمة.

- قوله تعالى:﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ فالفعل (وجد) هنا رفع فاعلًا، هو الضمير (نا)، ونصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، هما: (أكثرهم)، وهي المفعول به الأول، و(لَفاسقين) ، وهي المفعول به الثاني.

٢ - أفعال التحويل والتصيير: وهي التي تدل على تحول الشيء وانتقاله من حالة إلى حالة أخرى، وقد ذكر ابن آجروم هنا منها فعلين؛ هما: (اتخذ، وجعل)

- قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ فإن الفعل (اتخذ) هنا قد رفع فاعلًا هو لفظ الجلالة (الله)، وقد نصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، هما (إبراهيم) وهو المفعول به الأول، و(خليلًا) وهو المفعول به الثاني، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام: إبراهيم خليل.
- قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ فإن الفعل (جعل) هنا قد رفع فاعلًا هو الضمير (نا)، وقد نصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، هما الضمير الهاء، وهو المفعول به الأول، و(هباء)، وهو المفعول به الثاني، وكان أصل هذين المفعولين المبتدأ والخبر؛ لأن أصل الكلام: هو هباء منثور.

٣ - ما يفيد حصول النسبة في السمع: وهو فعل واحد، هو: (سمع).

وهذا الفعل إما أن يدخل على:

- ما يُسمَع: وفي هذه الحالة لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فقط باتفاق النحاة؛ نحو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ [ق: ٤٢]، فـ(الصيحة) مفعول به، ولا نقول: إنها مفعول به أول؛ لأن الفعل (يسمعون) هنا إنما دخل على ما يسمع، وهو (الصيحة)، فلا يتعدى إلا إلى مفعول به واحد، وهذا بالاتفاق، ومثال ذلك أيضًا؛ أن تقول: سمعت كلام زيد.
- ما لا يُسمع: نحو: سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول، فإنه إلى الآن لم يذكر الشيء المسموع.

فإذا كان الفعل (سمع) داخلًا على ما لا يسمع، فإنه قد اختلف فيه النحاة: هل يتعدى إلى مفعولين أو إلى مفعول واحد، على قولين:

القول الأول: قول أبي علي الفارسي، وتبعه عليه ابن آجروم، وهو أن الفعل (سمع) إذا دخل على ما لا يسمع، فإنه يتعدى إلى مفعولين.

والقول الثاني: قول جمهور النحاة، وهو أن (سمع) لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فقط، سواء دخل على ما يسمع، أم على ما لا يسمع، وذلك لأنه من أفعال الحواس، وأفعال الحواس لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد.

وبِناءً على هذين القولين، فإن لك في هذا المثال المذكور (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) إعرابين:

الإعراب الأول:

سمعت: سمع: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، لا محل له من الاعراب.

والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل.

النبي: مفعول به أول، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

صلى: فعل ماضي مبني على الفتح المقدر للتعذر لا محل له من الاعراب.

الله: اسم الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

عليه: على: حرف جر مبني لا محل له من الاعراب، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بالفعل صلى.

وسلم: الواو: حرف عطف مبني لا محل له من الإعراب.

سلم: فعل ماضي مبني على الفتح لا محل له من الاعراب، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وجملة سلم هو معطوفة على جملة: صلى الله.

يقول: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والجملة الفعلية (يقول هو) في محل نصب مفعولًا به ثانيًا.

والإعراب الثاني:

سمعت: سمع: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، لا محل له من الاعراب.

والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل.

النبي: مفعول به أول، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

صلى: فعل ماضي مبني على الفتح المقدر للتعذر لا محل له من الاعراب.

الله: اسم الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

عليه: على: حرف جر مبني لا محل له من الاعراب، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بالفعل صلى.

وسلم: الواو: حرف عطف مبني لا محل له من الإعراب.

سلم: فعل ماضي مبني على الفتح لا محل له من الاعراب، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وجملة سلم معطوفة على جملة: صلى الله.

يقول: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

والجملة الفعلية (يقول هو) في محل نصب: حال من المفعول به وهو النبي، أي: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم حال كونه يقول.

فإن قيل: لماذا قال جمهور العلماء إن جملة (يقول) في محل نصب حال، وليس في محل نصب مفعول به ثاني، كما ذهب إليه ابن آجروم؟

فالجواب: لأن القاعدة عند النحاة أن الجمل بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات، وجملة (يقول) هنا قد أتت بعد معرفة، وهي كلمة (النبي) صلى الله عليه وسلم، فأعربت حالًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أكاديمية الإمام الذهبي للعلوم الشرعية